حول « أغنية السودان »

للأستاذ علي متولي صلاح

تعمد محطة الإذاعة اختيارها — الفينة بعد الفينة — إحدى روائع شوقي الخالدات لتغني على الناس في مناسبة عابرة أو ظرف قائم أو لمقتضى حال يجب أن يقال فيه ما يطابقه .

وقد أحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « نكبة دمشق » التي مطلعها « سلام من صبا بردى أرق » ، وأحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « ذكرى المولد » التي مطلعها « سلوا قلبي غداة سلا وتابا » ولو أنها أضافت إليها — توهما منها أن ذلك يجعلها أدنى إلى المناسبة القائمة وأكثر مطابقة لمقتضى الحال — ما كان منها كالرقعة الرخيصة في الوشي الثمين ، ولو لم تفعل لكنت المطابقة دون حاجة إلى هذا التكلف !

وأحسنت المحطة الصنيع أيضاً حين اختارت — في الأسبوع المنصرم — قصيدته « شهيد الحق » التي مطلعها « إلام الخلف بينكما إلاما » التي قيلت بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم الزعيم مصطفى كامل ، وأطلقت عليها اسم « أغنية السودان » ! ...

ونحن نشكر للمحطة جاهدين أن تختار الشعر العالي ، ونود لو أنها تتحلل يوماً بعد يوم من هذا الهذر والسخف الذي تنطق به حناجر بعض المغنين فيها ، وأن تترك هذه الأغنيات الرخيصة السائمة التي تتسرب إلى نفوس الناس سماً وفساداً وانحلالا ... غير أننا ونحن بصدد الحديث عن اختيارها لقصيدة « شهيد الحق » نريد أن نبصرها بأمور كانت عمية أن تتجنبها ، وليكون ذلك دستوراً لها إن أرادت حقاً أن يغنى بها شعر رفيع عال كهذا الذي تختاره من شعر شوقي ، وإن ذلك لجدير — في المستقبل — أن يُعفيها من كل لوم ، وأن يجنبها كل زلل ، ويوقيها كل عثار .

١ — فنحن لا نفهم أولا كيف تعدو المحطة على التاريخ الأدبي والتاريخ السياسي فتنحرف بالقصيدة عن الغرض الذي قيلت فيه وتخرجها عما إليه قصد منشئها ، ثم تعدو بذلك على ذكرى غالية لزعيم وطني من طراز قلّ أن يوجد بين الزعماء ؟؟ ثم تسميها عنوة واقتداراً « أغنية السودان » وما بها صلة بالسودان إلا أنه ذكر فيها مرة !! ولقد كان للمحطة معدى عن ذلك لو أنها تمهلت قليلاً في الاختيار ، أو وكلته إلى أهل الذكر في الأدب الذين يعرفون قول الذي قال : —

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره !

كان لها معدى عن ذلك باختيار شعر آخر أو قصيدة أخرى لشوقي ، وله في الوطنية شعر كثير ، أو لحافظ وله قصائد متفرقة تفيض وطنية وحثاً على الاتحاد والائتلاف وتنديداً بالفرقة والاختلاف ، ولكن محطة الإذاعة راقها مطلع القصيدة « إلام الخلف بينكمو إلاما » وملك عليها أمرها فلم تجد عنه منصرفا !

تعال إلى هؤلاء وانظر إلى ما يقولونه .

تعال لتسمع القصة من أفواههم ، ولتلمس أفكارهم ، وتسبر غور أنفسهم ، ولتعلم بم يفكرون ؟ .

إنني لأقسم لك إنهم يفكرون في قضايا بلادهم ، بلادهم بالمعنى الشامل الواسع ، البلاد العربية : مصر ، الشام ، فلسطين ، شمال أفريقيا .

وفي هذه الأيام يحل الوفد السوداني ضيفاً على العراق . فهل تعلم ما كان في نفس كل عراقي ؟ .

لقد كانت في نفوسنا أحاديث قلبية نريد أن نبلغها .

لقد كانت قلوبنا تخفق ، وشفاهنا ترتجف ، وعيوننا تبتسم ، ونفوسنا في هزة من الشوق .

لقد كانت في قلب كل عراقي كلمات يودّ أن يبلغها إلى الوفد السوداني الكريم قائلا : يا إخواننا في وادي النيل إننا نؤيدكم من صميم قلوبنا ، ونناصركم بأرواحنا ، ونهتم بقضيتكم اهتمامنا بقضيتنا بل أكثر منها ... إن الجراح التي تحسونها في بلادكم نشعر بها ونتألم لها ... إننا صوت واحد ، صوت قلبيّ يصرخ في وجه المعتدي الأثيم : تباً لك من وغد ، هذه الأرض أرضنا نريق من أجلها دماءنا ... فلا تصدقوا ما يقوله عنا المستعمرون .

وفي النهاية نصرخ صرخة الشاعر العراقي :

أبشري يا طلعة الوادي الأمين ... جاءك الأبطال بالنصر المبين

قد سمعنا عنك ما روعنا ... فأتيناك أسوداً لا تلين

بغداد

غائب طعمة فرمان

على أننا لا نفهم كيف أسمتها قصيدة « السودان » وأعاب أبياتها التي غناها عبد الوهاب موجهة إلى « شهيد الحق » مصطفى كامل وكيف يوفق سامعوها بين عنوانها هذا وبين تلك الأبيات ؟؟

٢ — على أن المحطة وهي تريد الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد أغفلت الأبيات التي تؤدي إلى ذلك وتدعو له في القصيدة لأسباب يعلمها الله وحده ! وإلا فهل أدل على هذا الذي تهدف المحطة إليه من قول شوقي : —

لقد صارت لكم حكما وغنما ... وكان شعارها الموت الزؤاما
وتقتم واتهمتم في الليالي ... فلا ثقة أدمن ولا اتهاما

ومن قوله : —

وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء ... أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف ... كأنياب الفضنفر لن يراما
تباغيتم كأنكم خلايا ... من السرطان لا تجد الضماما ؟

ومن قوله وقد يكون فيه دعوة واضحة صريحة إلى أن يكون الحكم في أيدي الأحزاب جميعاً متحدين مؤتلفين : —

ولينا الأمر حزباً بعد حزب ... فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسمنا الأمر حين خلا إلينا ... بأهواء النفوس فما استقاما !

ولكن لأمر ما أغفلت المحطة كل ذلك ...

٣ — كان التلحين الذي غناها به محمد عبد الوهاب بعيداً غاية البعد عن المعنى المنشود ، لقد كان هذا اللحن أبعد شيء عن معاني الوطنية والاستنهاض والدعوة السريعة العاجلة إلى الاتحاد والتهكم اللاذع — بالموسيقى اللاذعة — بهذا الاختلاف وتلك الفرقة ، والمناداة العالية برأب الصدع ، واللهفة الحارة إلى جمع الشمل ... ما أحسست والله وأنا أسمعها إلا بأنين وحشرجة وخفوت ونوم واحتضار !!

فرفقاً بالأدب العالي والموسيقى العالية يا محطة الإذاعة .

علي متولي صلاح

ظهر حديثاً كتاب :

فصـــوص الحكم

لمحي الدين بن عربي

والتعليقات عليه

للدكتور أبو العـــلا عفيفي

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

والكتاب من جزءين في ٦٠٨ صفحة من القطع الكبير ، يحتوي الجزء الأول منه على متن الفصوص محققاً مراجعاً على ثلاث من أقدم مخطوطاته ، وعلى تصدير مطول يشرح منزلة الفصوص ومذهب ابن عربي فيه ، ويحتوي الجزء الثاني على تعليقات مسهبة تشرح غوامض وتبرز أهم نواحي فلسفة ابن عربي الصوفية كما استخلصها المؤلف من كتاب الفصوص وشروح المتن العديدة ، ومن غير الفصوص من كتب ابن عربي المطبوعة والمخطوطة .

ثمن النسخة الواحدة ٦٠ قرشاً صاغاً عدا البريد

يطلب من دار إحياء الكتب العربية

لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر — ت ٥٠٨٥٦